

تقنيات فهرسة المخطوطات العربية

الدكتور أحمد شوقي بنين

أستاذ بكلية الآداب — الرباط

تقديم :

مما لا جدال فيه أن الفهرسة قد رافقت الإنسان طوال حياته، وساعدته على تنظيم معارفه وتنسيقها وحفظ آثاره وصيانتها. وقد أصبحت الفهرسة اليوم أداة ضرورية ووسيلة فعالة لكل من الباحثين في حقل التراث الإنساني، والعاملين في مجال المكتبات على السواء. والمخطوط العربية أطول مخطوطات العالم عمرا، وأكثرها عددا وأجدرها بالاهتمام والعناية والتنظيم.

فما هي الطرق التي استخدمها القدماء والمحدثون في وصفه والتعريف به وتنظيمه؟ وما علاقة الفهرسة العلمية للمخطوط بعلم المخطوطات وتاريخ النصوص؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في هذا العرض.

إن من أقدم ما وصلنا من فهراس القدماء شذرات من الفهرس البيبليوغرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس (Callimachus) في القرن الثالث قبل الميلاد لأهم خزانة في العصر القديم خزانة الأسكندرية⁽¹⁾. ويعتقد الأخصائيون أنه أول فهرس منهجي وضع في التاريخ باعتبار الطريقة العملية التي لجأ إليها كاليماخوس في تقسيمه للمعرفة تقسيما علميا، وتصنيف الكتب حسب هذا التقسيم. ولم يكن العرب ليجهلوا هذا النوع من العلم والتقنية لتنظيم مكتباتهم ووضع الفهارس اللازمة لها. فكتب المصادر ملأى بالأخبار التي تحدثنا عن فهراس الخزانات

(1) شذرات من هذا الفهرس محفوظة بجزائن المتحف البريطاني بلندن.

(2) الطبع والنشر :

(3) مكان واسم الناشر :

(4) تاريخ النشر :

(5) التحقيق :

(6) المحقق :

(7) النسخ الأخرى :

(12) مكان الحفظ :

(13) المفهرس :

(14) تاريخ الفهرسة :

التوقيع :

الخليفة. فقد جاء في كتابي «العبر ونفح الطيب» أن ابن حزم قال: «أخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة. في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير»⁽²⁾.

وإذا كانت المصادر تقتصر على ذكر هذه الفهارس دون الإفصاح عن نوعيتها وطريقة صياغتها، فإن اكتشاف بعض الفهارس التي يعود بعضها إلى القرن السابع الهجري⁽³⁾ يعطينا فكرة عن مدى اهتمام القدماء بهذا الجانب كما يرشدنا نسبيا إلى الطرق التي استخدموها في فهرستهم للمخطوطات، هذه الطرق التي نلاحظ بعض آثارها في الفهارس الحديثة.

وإذا كان القدماء من الغربيين يستعملون عددا من المصطلحات للتعبير عن هذه العملية الفنية كأن يقولوا مثلا Catalogus، Repertorium، Bibliotheca، Index و Inventarium وهي كما تلاحظون كلمات يونانية ولاتينية، فإن القدماء من العرب المسلمين استعملوا كلمة «فهرست» الفارسية ليس للتعبير عن فهرسة المخطوطات والخزانات فقط، ولكن للتعبير أيضا عن علم البيبليوغرافيا الذي هو غير علم الفهرسة فلم يكن «فهرست» ابن النديم مثلا كتابا في الفهرسة بقدر ما هو كتاب بيبليوغرافي بهر بتنسيقه وتنظيمه وتصنيفه المحدثين من المستشرقين والإحصائيين في الأدب البيبليوغرافي.

وفي العصر الحديث شاءت إرادة الله تعالى ألا يبقى تراثنا العربي المخطوط محفوظا بخزاناتنا العربية وحدها، بل انتقل لأسباب شتى إلى معظم بلدان العالم حتى لا تكاد تخلو خزانة من الخزانات من رصيد من هذا التراث. وقد حازت أوروبا حصة الأسد من هذه المخطوطات، الشيء الذي جعلها تسبق إلى الاهتمام به وصيانتها والاستفادة منه، وذلك بتسجيله وفهرسته وتنظيمه وتيسير سبل الحصول عليه. وإذا كان لعلماء الغرب أن يفكروا في فهرسة مخطوطاتنا التي يملكون منها أكثر مما نملك، فإنهم لم يأنسوا من أنفسهم القدرة اللازمة، والكفاءة العلمية للقيام بهذا العمل العلمي فنادوا على أصحابه الشرعيين من العرب المشاركة ليفهرسوا ويضعوا القوائم البيبليوغرافية. وهكذا كانت الفهارس البيبليوغرافية الأولى

(2) يتعلق الأمر بخزانة الحكم المستنصر 366هـ، النفح، ج 1، ص 362.

(3) أشير هنا إلى فهرس خزانة التربة الأشرفية وفهرس مكتبة جامع القيروان.

للمخطوطات العربية من وضع العلماء السوريين واللبنانيين فمنذ سنة 1677م فهرس بطرس دياب الحلبي المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة الملكية⁽⁴⁾ بباريس، ثم فهرسها كل من باروت السوري الذي كان مترجما في مكتبة الملك، ثم أب عسكري الماروني قبل أن يشتغل بها Renaudot و D'Herbelot و De Slane و Vajda و Blochet وسواهم. وكان الغزيري⁽⁵⁾ (Casiri) أول من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالإسكوريال بإسبانيا قبل أن يشتغل بها Renaud و H. Derenbourg و L. Provençal وسواهم.

أما المخطوطات العربية في إيطاليا فقد وضع فهرستها في «فلورنسا» Florence عواد السمعاني عام 1742⁽⁶⁾ كما اشتغل بفهرستها في خزانة الفاتيكان يوسف شمعون السمعاني عام 1756⁽⁷⁾، قبل أن يشتغل بها مستشرقون إيطاليون أمثال Gabrielli و G. Levi Della Vida وسواهما⁽⁸⁾.

أما الفهارس المنهجية التي وضعها المستشرقون للمخطوطات العربية فلم تظهر إلا في منتصف القرن الماضي. وليس هذا من الغرابة في شيء إذا ما علمنا أن الفهارس التي وضعوها للمخطوطات اليونانية واللاتينية لا تعدو كونها قوائم بأسماء

(4) الخزانة الوطنية حاليا.

(5) أشار Steinschneider في فهرسته للمخطوطات الإغريقية بالإسكوريال إلى وجود قائمة بمخطوطات الإسكوريال العربية محفوظة بخزانة الفاتكان بروما، بحث عنها «درينورغ» ووجد أنها بضعة أوراق لا أهمية لها، ويبقى أن عمل الغزيري عمل رائد وأولي في هذا الإطار، وفهرسته هو: Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis-Brill-Leiden 1660-1670
ترجم إلى اللغة العربية أيام المولى سليمان 1815م باقتراح الأديب المغربي محمد بن عبد السلام السلوي وزير السلطان المذكور، وهو نسخة فريدة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6792.

(6) Assemani (S.E) bibliotheca medicae laurentianae et palatinae cadicum manuscriptum orientalium catalogus- Florence 1742.

(7) Assemani (J.S) bibliotheca apostolicae vaticanae codicum manuscriptorum catalogus pars Iti Roma 1756.

(8) معظم هذه الفهارس قد وضع على غرار كشف الظنون لحاجي خليفة الذي يمكن اعتباره أول مفهرس علمي للمخطوطات العربية والتركية والفارسية، والماروني العسكري أضاف إلى العربية المخطوطات السريانية وأضاف الغزيري إلى هذه اللغات الكرشوني والخاميايو وهي اللغة الإسبانية المكتوبة بحروف عربية بيد آخر مسلمي إسبانيا.

المؤلفين وعناوين الكتب. أما الفهارس المنهجية فلم تصدر في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر⁽⁹⁾.

ولما تنبه المسلمون إلى عظيم شأن تراثهم المخطوط وقيمته، وأقروا العزم على جمعه والاطلاع عليه والبحث فيه، فإنه قد تجمع لديهم المجموعات النفيسة والنادرة سواء ما نفضوا عنه الغبار من خزاناتهم العربية، أو ما اطلعوا عليه وجلبوه وصوروه من الخزانات الأجنبية، فكان لزاما عليهم ومن أجل الضبط البيبليوغرافي أن ينظموه ويفهرسوه، فظهرت إلى جانب الفهارس الموضوعية في الغرب، فهارس عربية متعددة تختلف من حيث الأساليب والبيانات والطرق والصيغ البيبليوغرافية. وإذا كان الأستاذ المنجد قد حصرها في ثلاثة أنواع: فهارس مختصرة، وأخرى مفصلة، وثالثة أكثر تفصيلا مع اقتراحه لخطة خاصة بالفهرسة، فإن الأخصائيين في هذا الميدان لا يزالون حتى اليوم يقترحون الخطط والتصورات الشخصية لفهرسة المخطوط العربي.

ولست أهداف في هذا البحث إلى تكرار مختلف الاقتراحات المتعلقة بتقنيات فهرسة المخطوطات، بل سأقف فقط عند بعض العناصر لهذه العملية العلمية، والتي أعتبرها مواصفات أساسية للمخطوط العربي كالإشارة إلى الخط والناسخ ووسائل الكتابة، كالجلد والورق وغيرها، ثم عملية تأريخ المخطوط غير المؤرخ.

الإشارة إلى خط النسخة ليس بالشيء الجديد بالنسبة للفهرسة الحديثة، فالقدماء كانوا يشيرون إلى نوع خط المخطوطة كما جاء في فهرست مكتبة جامع القيروان والذي تحدث فيه واضعه عن أصناف الأقلام والأحبار، وعن الخطوط المنسوبة، وأنواع أخرى من الخط كالصقلي والنباري⁽¹⁰⁾. ويلاحظ في معظم فهارسنا الحديثة أن المفهرس يكتفي بالإشارة إلى الجهة التي ينتمي إليها الخط المستعمل كأن يقول: خط شرقي أو خط مغربي دون الإشارة بتدقيق إلى مكانه وعصره. وبما أن محور هذه الندوة هو المخطوط العربي في الغرب الإسلامي؛ فإن المخطوطات التي نسخت بخط مغربي لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث لتحديد

الأنواع المختلفة من المخطوط المغربية. فإذا كان الخط مغربيا فهو إما أندلسي أو مغربي أو جزائري أو تونسي أو موريطاني أو غير ذلك وإذا كان مغربيا مثلا فهو فاسي؟ أو صحراوي؟ أو سوسي؟ أو بدوي؟ أو غير ذلك؟ أعتقد أن هذا النقص الملاحظ في فهارسنا يرجع إلى أمرين: أولهما أن الخط المغربي لم يحظ بما حظي به الخط الشرقي من الدراسة والبحث فالصراع لا يزال حتى الآن قائما حول أصل الخط المغربي أهو متفرد عن الأندلسي كما زعم ابن خلدون؟ أم هو شيء آخر كما قرر ذلك المستشرق الهولندي⁽¹¹⁾ (O. Houdas)؟ ثانيهما أن المغرب يفتقر كباقي الدول الشرقية إلى باليوغرافيين المختصين بعلم المخطوط القديمة.

وإذا انتقلنا من الخط إلى ناسخه لاحظنا أن المفهرسين عموما يشيرون إلى النسخ إشارات عابرة، وهذا شيء طبيعي، لأن المفهرس لا يهتم بالبحث في شخصية الناسخ وفي سلوكه، بل مهمته تسجيل اسمه بين مواصفات المخطوط. فالنسخة والناسخ موضوع لم يحظ هو الآخر بما يستحقه من البحث، وهذا النوع من الدراسة ضروري للمفهرس والباحث على السواء. فإذا كان القدماء يعتبرون النسخة شيئا مثيرا من الناحية الشرعية حيث يضيفون اسمهم في المخطوط ليدعى لهم مع المؤلف ولهذا كانوا يقولون:

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة إن تراه⁽¹²⁾

إذا كان القدماء يعتقدون هذا الاعتقاد فإن عددا من النساخ قد بدلوا وغيروا عن قصد أو غير قصد، كأن يحاول الناسخ إظهارا للمهارة، وخدمة للعلم والدين، أن يقلد خط النسخة التي ينقل منها بدقة كبيرة حتى لا يميز بينها، فتكون نسخة كتبت في القرن العاشر قد نسبت من حيث الخط والتأريخ إلى القرن الخامس أو السادس. على المفهرس إذن أن يكون قوي الحدس واسع الاطلاع بأنواع المخطوط إذا أراد أن يحدد خط النسخة تحديدا علميا صحيحا.

أما فيما يخص مواد الكتابة التي استعملها القدماء كورق البردي وأنواع الجلود والورق والكاغد وغيرها فإنها كانت موضوع بعض الدراسات وإن كانت لا تزال

(11) O. Houdas : Essai sur l'écriture maghrébine : in melanges orientaux 1886.

(12) هذه الظاهرة يشاركون بها النساخ المسيحيين في القرون الوسطى الذين كانوا حريصين على ألا يغيروها، وألا يبدلوا، وألا يقعوا في خطأ يحاسبون عليه يوم القيامة.

(9) كانت فرنسا من بين الدول الأوروبية السبابة إلى وضع فهارس منهجية للمخطوطات اللاتينية والفرنسية وأول فهرس منهجي صدر فيها كان عام 1849م.

(10) نسبة إلى «نبارة» بليبيا (انظر دراسة على هذا الفهرس في الجزء الثاني عام 1957 من مجلة معهد المخطوطات العربية).

تفتقر إلى الدقة والتخصص في هذا الميدان. فإذا كان المخطوط مكتوبا على الورق فأى نوع من الورق عربي أم أوروبي؟ وإذا كان أوروبيا فما هو مصدره؟ وما هو عصره؟ إذا كانت عليه علامة من علامات هذا الورق (Filigranes)⁽¹³⁾.

ومما يؤسف له أن يخلط المفهرس لا بين أنواع الورق المستعمل فقط، بل بينها وبين الجلود والرقوق التي أصبحت بعد عملية الدباغة أكثر شبيها بالكاغد. وقد تنبه بعض المهتمين بالتراث العربي وفهرسته من المستشرقين إلى هذا كما صنع H. Derenbourg في فهرسته للمخطوطات العربية بالإسكوريال⁽¹⁴⁾.

ومما جعلني أقف عند هذا العنصر من عناصر الفهرسة والمتعلق بتحويل المادة المستعملة للكتابة⁽¹⁵⁾ هو ما يسمى بالطلوس أو الطروس (Palimpseste)، وهي الرقوق أو الصحف التي محيت وكتب عليها من جديد⁽¹⁶⁾. وقد قرأت في بحث من الأبحاث أن هذه الظاهرة قد عرفت في الغرب الإسلامي، بحيث لما فتح العرب الأندلس والمغرب وإيطاليا محوا الكتب اللاتينية واليونانية بعد ترجمتها وكتبوا عليها ثانية لأن الرق والبردي غالبا الثمن. فلما خرج العرب من الأندلس محا الإفرنج كتب العرب وكتبوا عليها مع أنها في غنى عن ذلك لوجود الكاغد الذي نشره العرب بأوروبا. وفي القرن الماضي استخرج الأوروبيون بوسائل كيميائية النصوص اليونانية واللاتينية القديمة من الطلوس العربية وبقيت الطلوس الإفرنجية محتفظة بسر الكتب العربية المطلوسة.

فهل اهتم المفهرسون والباحثون والفيلولوجيون والمهتمون بشؤون المخطوطات من العرب بهذه الظاهرة في فهرسهم أو أبحاثهم أو مختبراتهم إن كانت لهم مختبرات لاستخراج هذه الطلوس حتى يعلم نهائيا ما هي الكتب التي ضاعت؟ وما هي الكتب التي بقيت؟ وماذا نقترح لحل هذا المشكل؟ ذاك ما سنعرفه في خاتمة هذا العرض.

(13) اعترف بجهله حتى في التمييز بين أنواع المخطوط المتفرعة عن الخط المغربي.

(14) Briquet : Filigranes, Paris 1907.

(15) كانت المواد التي يكتب عليها القدماء من العرب من وحي البيئة في بادئ الأمر، ثم اختلفت باختلاف الزمان والمكان.

(16) عرفت عند الإغريق واللاتين Palimpsestus (Latin) et Palimpsestos (Grec) : ولم تدخل إلى اللغة الفرنسية إلا عام 1823 لما بدأوا يهتمون بفهرسة التراث القديم.

أما العنصر الثالث والأخير هو المتعلق بتاريخ المخطوطات، ألاحظ من خلال قراءتي لعدد من فهراس المخطوطات العربية أن عملية تأريخ المخطوطات لم تكن من أسبقيات المفهرسين، فلم يهتموا بها بقدر ما اهتموا بعنوان المخطوط واسم مؤلفه مثلا.

فإذا كان المخطوط مؤرخا أشاروا إلى تاريخ النسخ من دون أن يبحثوا بحثا كوديكولوجيا هذا التاريخ. ولم يخصصوا واحدا من الكشافات المرفقة بالفهرسة الموضوعة للمخطوطات المؤرخة إلا نادرا. وإذا كان المخطوط غير مؤرخ سكت المفهرسون عنه أو أرخوه بالحدس والتقريب. وفي العقود الأخيرة يلاحظ أن المفهرسين بدأوا يهتمون بدراسة كل ما من شأنه أن يساعد على تأريخ المخطوط، كالتجليد والكتابة ومادة الكتابة والتذهيب والتملك والوقف والتوقعات والتصحيحات وسواها، وهذه الأشياء الأخيرة هي التي أطلق عليها الغربيون خوارج الكتاب Ex-libri، ومما ينبغي إضافته إلى هذه الوسائل أن بعض المعاهد العلمية في أوروبا استعانت ببعض التقنيات من علوم الفيزياء في هذا السبيل منها التحليل الكيميائي للمداد ومواد الكتاب، الهلوجرافيا، في سبيل مقارنة المخطوط، البيطاراديوجرافيا Betaradiographie من أجل التعرف على علامات الكاغد ووسائل أخرى لفك رموز النصوص المطلوسة.

وتأريخ المخطوطات له غايتان أساسيتان، أولهما أنه يعطي المقومات الأساسية لما يسمى بتاريخ النصوص، وثانيهما أنه يساعد على تقدم الدراسات المتعلقة بالمخطوط القديمة، وكلنا يعلم أهمية فهراس المخطوطات المؤرخة في جميع اللغات. إضافة إلى هذه العناصر التي اكتفت بالحديث عنها في إطار الفهرسة أود أن أقول شيئا عن الفهرسة والبيبلوجرافيا والفهرسة والتصنيف.

إذا كان القدماء من العرب قد استعملوا كلمة فهرسة للتعبير عن فهرسة الكتب والبيبلوجرافيا معا، فإن الغربيين في العصر الحديث قد استخدموا لفظ البيبلوجرافيا للتعبير عن الفئتين معا قبل تخصيص علم الفهرسة بمصطلح آخر هو الكاتالوجاج (Catalogage) بالعالم البلجيكي Chauvin الذي وضع فهرسة للمطبوعات العربية استعمل كلمة بيبلوجرافيا للتعبير عن هذه العملية العلمية. وعلى الرغم من استعمال المصطلحين عن فئتين من العلوم سواء عند العرب أو عند الغربيين فإن علم الفهرسة يختلف عن علم البيبلوجرافيا ولا يمكن لصانع الفهارس أن يكون

بيبلوغرافيا كما لا يمكن لمكلف بالحسابات أن يكون رياضيا، إلا إذا ألم كلاهما بقواعد هذه العلوم.

فلا بد إذن للمفهرس من أن يكون بيبليوغرافيا⁽¹⁷⁾، فتوثيق اسم الكاتب وعنوان المخطوط والبحث في مختلف النسخ وفي أماكن وجودها وهل طبعت أم لا؟ وسواها من التساؤلات ذات الطابع البيبلوغرافي تفرض على المفهرس الحديث للمخطوطات أن يلم بقواعد البيبلوغرافيا، تاريخها، أنواعها إذا أراد أن يجيب عن الأسئلة العلمية التي تطرحها عليه عملية الفهرسة والتي يقتضيها الوصف التاريخي والكوديكولوجي للمخطوطات، فإذا أراد المفهرس أن يعرف مثلا هل طبع المخطوط المفهرس أم لا؟ فإن لديه عددا كبيرا من البيبلوغرافيات كتبها أو مجلات يجب أن يعرفها ويستشيرها في الوقت المناسب، ويأتي على رأس هذه القوائم البيبلوغرافية بيبليوغرافيات متعددة للمطبوعات العربية وضعها المستشرقون في القرن التاسع عشر (وهو عصر البيبلوغرافيا كما يقولون) مثل Schnarrer وتسنيكر (Zenker) وChauvin وVan Deck وسواهم. وتحاول هذه البيبلوغرافيات أن تحصي جميع الكتب العربية المطبوعة منذ بداية الطباعة بحروف عربية في أوروبا، أما مجلة المخطوطات العربية للمنجد ونشرات معهد المخطوطات العربية والجامع اللغوية العربية وغيرها هي الوسائل البيبلوغرافية الأولى للمفهرس.

وإذا نظرنا إلى علاقة التصنيف بالفهرسة لاحظنا أن الذين وضعوا فهرس المخطوطات العربية في أوروبا قد اتبعوا تصنيفا للعلوم في غاية الدقة بدءا بالعلوم الدينية وختما بما اصطاح عليه الأقدمون بعلوم الأوائل.

وإذا سار عدد من المفهرسين الغربيين للمخطوطات العربية على غرار تصنيف العلوم الإسلامية الذي ورد في فهرس مخطوطات برلين بألمانيا للمستشرق ألورد (Ahlward) فإن التصنيف الذي اتبعه الغزيري للمخطوطات العربية المحفوظة بالإسكوريال منذ القرن الثامن عشر كان في غاية الدقة بحيث أن المستشرق H. Derenbourg لما عزم على وضع فهرسة جديدة لمخطوطات الإسكوريال مضيئا ما غفل عنه الغزيري، لم يقر فقط التصنيف الذي وضعه المفهرس العربي بل أثنى عليه واحتفظ به كطريقة تصنيفية ومنهج تنسيقي مثالي للعلوم الإسلامية. وعلى

(17) يلاحظ أن عددا كبيرا من واضعي فهرس المخطوطات العربية يجهلون أو يهملون علم البيبلوغرافيا.

الرغم من هذا التقسيم فإن المخطوطات ترتب داخل المكتبة حسب أرقام معينة دون مراعاة لهذا التصنيف، وقد بدأ المحدثون يعدلون عن الطرق العتيقة ويرتبون المخطوطات العربية المصنفة حسب نظام ديوي العشري لتصنيف الكتب وتنسيقها كما صنع الدكتور يوسف خوري لِمَّا فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت⁽¹⁸⁾.

يتضح من خلال ما سبق أن فهرسة المخطوطات العربية ليست بالأمر الهين، بل إنها عملية تقتضي اطلاعا واسعا وتخصصات متنوعة قلما تجتمع لعالم واحد. فهل وجد من بين المفهرسين، عربا كانوا أو غربيين، من توفرت له هذه العلوم واجتمعت لديه هذه التخصصات؟ وبعض المستشرقين إيماننا منهم بأهمية هذه العملية العلمية، لم يقتحموا هذا الباب بل تركوه لأهله كما صنع أسلافهم في القرنين السابع والثامن عشر. وبعضهم تجشم عناء الفهرسة واقتحمها معترفا بجهله لعدد من أجزاء علومها الأساسية.

اعترف H. Derenbourg واضع فهرس مخطوطات الإسكوريال بجهله لأنواع المخطوطات المغربية فاكتمى بالإشارة إلى شرقية الخط أو مغربيته دون تحديد الجهة التي ينتمي إليها هذا الخط.

أما المعاصرون من زملائنا العرب فإنهم قد وضعوا الفهارس بطريقة ساذجة وتصورات خاصة دون اعتبار الفهرسة علما قائما بنفسه له قواعده، ولا يستطيع أن يقوم به إلا من أوتي شروطا خاصة، أهمها ميله وحبه لعلم المخطوطات، واستعداده الفني والعلمي لممارسته. كل يفهرس على هواه وكل يرى طريقته سديدة وإن كانت مضطربة، منهم من قلد المستشرقين من المحدثين، ومنهم من سار على منوال الفهارس العتيقة دون الأخذ بالاعتبار المعطيات العلمية الحديثة ذات الصلة الوثيقة بهذا العلم، فجاءت فهرس مخطوطاتنا العربية على أشكال مختلفة وأساليب متعددة تختلف صورها من بلد إلى بلد ومن خزنة إلى خزنة في البلد الواحد.

ما هي الاقتراحات التي من شأنها أن تساعد على حل هذا المشكل؟ وما هي السبل التي ينبغي سلوكها للوصول إلى هذه النتيجة المتوخاة؟

(18) يوسف ق. خوري: المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت

أقترح بتواضع كبير شيئين، أعتقد أنهما أساسيان في هذا الإطار.

أولهما : العمل على إثارة اهتمام الطلبة الجامعيين لعلم المخطوطات وإدماجه ضمن البرامج لا الجامعية فقط؛ بل ضمن برامج مدارس علوم المكتبات : كذلك في الجامعة وعلى مستوى التخصص الأكاديمي لا توجد في البلاد العربية دراسات عن المخطوط العربي أو تخصص في علم المخطوطات إلا نادرا.

وفي معاهد المكتبات الحديثة التي عمت العالم العربي اليوم لا يعدو ما يلقيه الطلبة القواعد الأولى لفهرسة المطبوعات لا المخطوطات، وتاريخ البيبليوغرافيا وأنواعها وتاريخ الكتاب والبيبليوغرافيا والبيبليوتيكونوميا والمفاهيم الأولى لعلوم المكتبات، دون أي اهتمام بشؤون المخطوطات لما تتطلبه من مختصين ولما تقتضيه من جهد وعناء واستعداد وكفاءة علمية.

ثانيهما : إنشاء معهد للبحث وتاريخ النصوص على مستوى العالم الإسلامي تشرف عليه المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ISESCO وذلك للقيام بالوظائف التالية :

1) دراسة المخطوطات العربية يختص بها قسم من أقسام هذا المعهد يدعى قسم علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا⁽¹⁹⁾ (Codiologie) كما يقول الغربيون. والفهرسة جزء من أجزاء الكوديكولوجيا بالإضافة إلى تاريخ المخطوطات والمجموعات، وبحث وضعية المخطوطات ومصادرها، وما آلت إليه والامر بتأليفها والذي أهديت إليه، إلى جلوده أو ورقه وغير ذلك⁽²⁰⁾.

في هذا الإطار واعتبارا لهذه المواصفات العلمية الدقيقة يمكن البحث في عدد من المشاكل المخطوطية كتاريخ الخطوط، وتأريخ المخطوطات، والبحث في مواد الكتابة، ودراسة حياة النساخ وسلوكهم، وإخضاعهم لنظرية الجرح والتعديل كما أخضعت لها حياة رواة الحديث واللغة، ودراسة الطلوس دراسة كيماءوية

(19) مفهوم علم المخطوطات عند المختصين من العرب يتضمن بالإضافة إلى تاريخ المخطوط وفهرسته ووضعيته وغيرها خط هذا المخطوط، ومادة كتابته، بينا الغربيون يجعلون الخط ومادة الكتابة من قبيل علم المخطوطات القديمة أو الباليوغرافيا.

علم المخطوطات العربي : الكوديكولوجيا + الباليوغرافيا.

(20) الفهارس المفصلة تعالج هذه المشاكل التي هي من اختصاص علم المخطوطات أو الكوديكولوجيا.

لاستخراج النصوص العربية القديمة، وأخيرا تحديد خطة نهائية لفهرسة المخطوط. 2) إنشاء قسم أو أقسام للاهتمام بمخطوطات اللغات الشرقية والسامية التي رافقت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل، كالفارسية والتركية والعبرية والسريانية، ومخطوطات هذه اللغات وغيرها المكتوبة بحروف عربية⁽²¹⁾، فمعظم فهارس المخطوطات العربية القديمة وبعض الحديثة تجمع مخطوطات هذه اللغات للعلاقات الوثيقة والصلات التي كانت تربط بينها في فهرس واحد.

وخلاصة القول هي أن الغاية القصوى من إنشاء هذا المعهد وفي هذا الإطار بالذات، هو خلق خطة موحدة لفهرسة المخطوطات تقتصر على العناصر الأساسية لتعريف المخطوط، دون الاهتمام بالعناصر الأخرى التي يختص بها قسم الكوديكولوجيا. وهدف هذا الأخير من هذه الأعمال هو البحث في تاريخ النصوص الذي طالما أهملناه في عالمنا العربي مع العمليتين معا الفهرسة الموحدة وتاريخ النصوص، تمكنا من رسم خطة واحدة لتحقيق النصوص، وهو مشكل علمي كبير طالما أرق ولا يزال يورق الكثير من جهابذة الفكر واللغة من علماء العرب وكل المهتمين بالتراث العربي المخطوط.

(21) الخط الكرشوني : المخطوطات العربية المكتوبة بالحرف السرياني. ذكر Huisman في كتابه عن المخطوطات العربية في العالم، المخطوطات اليهودية العربية (Judeo-Arabe) والمخطوطات المكتوبة بالخط الكرشوني.